



قال لي: "ماذا تفعلون في جنيف؟ إنكم تعاملون مع مجموعة بشرية لا ترقى إلى مواصفات العصابة، لأن العصابة، على الأقل، تنتظم ضمن ضوابط معينة. هؤلاء لا يعرفون إلا القتل والدمير منهجاً؛ والقوة لغة؛ هؤلاء يأخذون سورية رهينة لعقود من الزمن؛ وما إن سمعوا أو رأوا من يخالفهم حتى تحولوا إلى وحش تدمير البشر والحجر، أو تكون تحت هيمتهم. أي سياسة وأي دبلوماسية تريدون أن تستخدموا مع خلائق من هذا النوع؟"

صورة سوداوية رسمها هذا الصديق وكان محقاً بكل كلمة قالها؛ ولكن عالمنا اختلط معايره، فما عادت أي قوانين أو أي ضوابط تحكم مجرياته: حفرة في طريق تسببت بها الأمطار الكثيفة كفيلة بإسقاط حكومة في زاوية من هذه الكرة الأرضية تحترم نفسها وتحترم الإنسانية وقوانينها. وارتكاب جرائم لخمس سنين متواصلة لم تولد حتى الآن حالة لردع المجرم. فأي خيار بقي أمام عشرة ملايين إنسان تدمرت بلادهم وأقتلوا منها وهاموا في بقاع الأرض؛ والكل يدبر ظهره وكأنهم الوباء؟!

من نصيب نفسه صديقاً لهؤلاء يدفع من تصدى للحديث باسم الملايين باتجاه مفاوضات مع القاتل؛ ويراهما الحل الأمثل والوحيد لاستعادة الحياة في بلد في العناية المشددة لكل هذا الوقت. مبعوث دولي يتراقص بين وفده وآخر خشية أن تلتقي الوجوه والعيون: وجوه وعيون القاتل والمقتول.

يطلق رئيس وفد عصابة القتل عبارة "وفود المعارضة" فيكون هذا المبعوث الدولي قد هيأ ما يتناغم مع طرحة عبر دعوته لوفود سورية ترى في نفسها ممثلاً للشعب السوري. ما إن تستمع إلى أطروحتها حتى ترى نفسك تستمع إلى أطروحة النظام الظاهرة أو الخفية.

تراتشق الوفود الأوراق والوثائق التي تحدد المبادئ أو الأسس أو الأطر أو المحددات أو البنود أو المواد المراد الاتفاق عليها. ماتريده العصابة أكل طيب لها وسم زعاف لوفد المعارضة؛ والعكس صحيح.

تريد المعارضة انتقالاً سياسياً بصلاحياتٍ كاملة، ولا وجود لانتقال سياسي في قاموس العصابة. أقصى ما يمكن أن تقدمه: "وزارة موسعة" وتحت سيادة "الرئيس" الخط الأحمر.

يطمئن مثل السيد أوباما في جنيف السيد "مايكل راتني" المعارضة ويصرُّ على ماتصرُّ عليه؛ وعندما يُسأل عن موقف

سيده، يقف حائرا يلتئم ويتكلم. مجموعة "الرديدة" الأوربيين والعرب الذين اكتسبوا اسم "أصدقاء سورية" ترتفع أصواتهم، ولكن لا تخرج من غرفة الاجتماع.

يعلن بوتن مع بداية ما سمي بالمفاوضات "انسحاب" قواته من سورية. تستبشر خيرا بأن فرصة الحل أصبحت وشيكه، فالنصف سيتوقف وحتم نار طائرات بوتن ستنتهي، ونختتم "المفاوضات" بما سماه النظام استعادة تدمر لتكشف أن بوتن أراد أن يمنح "شرف التحرير" للعصابة التي هب لنجذتها ولا يريد لنفسه. وسرعان ما تكتشف أن سيطرة داعش على تدمر كانت استسلاما وتسلیما؛ وخروجه منها كان أيضا استسلاما وتسلیما.

تعود لذكر ما قاله لك الصديق بأن هؤلاء لا يرثون حتى إلى مواصفات العصابة ولا يفيد معهم إلا القوة؛ وسرعان ما تذكر أيضا أن المبعوث الدولي دي مستورا قد حدد جولة جديدة من المسرحية الهزلية في التاسع من نيسان "أبريل"؛ وكان قد أخبرك مواربة أن وفد العصابة يمكن أن يتأخر حتى الرابع عشر منه بعد أن يكون قد أدى "واجبه الانتخابي" في انتخابات مجلس الشعب "ل الجمهورية العربية السورية".

أنت تعرف والكل يعرف أن هذا نصفاً للمرجعية الفانونية التي تعقد الاجتماعات بموجبها في جنيف. دي مستورا هو الأعلم بذلك ولكنه يجيزه ويماره مواربة تحت يافطة "ستبدأ المفاوضات بمن حضر" يغوص البعض بتعقيدات وأفكار وقانونية المواد التي تتضمنها الوثائق التي تترافق بأيدي الحاوي دي مستورا، ولكن يتحول هذا الغوص إلى حالة عبثية؛ فأنت تقرأ مزاميراً على عصابة.

خمسة أعوام من النزف المستمر والهولوكوست الفريد من نوعه في التاريخ البشري ولا لحظة جادة في وضع حد للراسة. هناك حل واحد اسمه "الفصل السابع" ولا شيء غيره.

مضي على هذا الاستحقاق سنوات، وتحديداً منذ أول مجررة ارتكبها "النظام" بحق شعبه؛ وهناك من يحول دون التنفيذ. متى سيكون؟ هذا هو السؤال والجواب والمفاوضات والحل.

كلنا شركاء

المصادر: